

الحلقة الأولى

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. سنبدأ اليوم سلسلة جديدة نتحدث بها عن أمثال المخلص يسوع المسيح. وكان المسيح قد تكلم بأمثال كثيرة لتلاميذه أي لحواريه، وللناس الذين أتوا للاستماع إليه.

لكن ما هو المقصود بالمثل؟ ولماذا استخدم المسيح الكثير من الأمثال؟ إن المثل يقارن بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم. فالمثل يدفع الإنسان لاكتشاف هذه الحقائق، التي يصعب إدراكها لو لم تقدم عن طريق الأمثال. ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال في أحاديثه لهدف إيضاح الحقائق الروحية التي يريد إيصالها للناس. وليكشف لهم في نفس الوقت عن معاني مجيئه إلى عالمنا، والهدف الذي أتى من أجله. ولينبههم إلى ضرورة التوبة عن ذنوبهم والإيمان به.

مستمعي العزيز، هل ضاع طفلك أو ولدك مرة؟ وماذا فعلت عندئذ؟ أو لم تركض في الشوارع بحثاً عنه؟ أو لم تسأل كل عابر سبيل؟ أو لم تذهب إلى مراكز قوى الأمن بحثاً عنه؟ وماذا كان شعورك عند حدوث هذا الأمر؟ أليس الشعور بالإحباط والخوف على طفلك؟ لكن، عندما وجدت طفلك أو ولدك، انفرجت أسارير وجهك، وفرحت كثيراً، لا بل ربما بكيت من الفرح. فما قد وجدت ابنك الضائع، وها هو يعود إلى أحضانك سالماً معزراً. وربما احتفلت بهذا الحدث الجميل، ودعوت الأهل والمعارف والأصدقاء لكي يفرحوا ويحتفلوا معك.

لقد تحدث الرب يسوع المسيح بعدة أمثال تشير إلى حالة من حالات ضياع الإنسان. وكما علمنا قبل قليل فإن المسيح كان يأخذ أمثاله من البيئة التي كان يعيشها الناس في ذلك الزمان. ولهذا تكلم عن مثل الخروف الضال، وهو الذي سنبدأ به في هذا اللقاء.

نقرأ عن مثل الخروف الضال ما يلي: « وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعه. فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبل خطاة ويأكل معهم. فكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية، ويذهب لأجل الضال حتى يجده. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً. ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء

والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي لأنني وجدت خروفي الضال. أقول لكم أنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة» (بشارة لوقا ١٥: ١-٧).

كما نلاحظ فإن مناسبة هذا المثل هو اقتراب الناس العشارين والخطاة من المسيح لكي يستمعوا إليه. وكان العشارون هم جباة الضرائب التي عينتهم السلطة الرومانية المحتلة في ذلك الزمان، لكي يجبوا الضرائب الباهظة من الناس. لكن العشارين وبسبب جشعهم ورغبتهم بجمع الأموال الكثيرة، كانوا يطالبون الناس بدفع المزيد من الضرائب، التي ترهق كاهلهم. لا بل قد تجعلهم يفلسون، أو يبيعون ممتلكاتهم لدفع الضرائب للعشارين. ولهذا كان الشعب يكرههم، ويعتبرهم من الناس الظالمين الفاسدين.

وفي المقابل كان الفريسيون والكتبة وهم من الناس المتدينين الذين يدعون الصلاح، ينظرون إلى العشارين والخطاة نظرة الاحتقار والازدراء، ولا يحبون معاشرتهم أو حتى التقرب منهم. ولهذا تذمروا على المسيح كيف سمح لهم بأن يقتربوا منه، لا بل أخذ يجالسهم ويأكل معهم. وعندها قدّم لهم المسيح مثل الخروف الضال. وكيف أن الراعي الذي يضيع واحداً من قطيعه، يترك باقي القطيع ويذهب باحثاً عن الخروف الضال. وعندما يجده يفرح كثيراً، ويدعو الأهل والجيران والأصدقاء لكي يفرحوا ويبتهجوا معه، إذ وجد خروفه الضال. فماذا قصد المسيح بهذا المثل يا ترى؟

أجل مستمعي ماذا قصد المسيح بمثل الخروف الضال؟ لقد أراد أن يُظهر مدى محبة الله العظمى للناس الخطاة والظالمين. وكيف أنه يسعى تعالى وراء هؤلاء الخطاة الضالين لكي يجدهم. وعندما يجد خاطئاً ضالاً واحداً يفرح به، لا بل تفرح السماء بكل ملائكتها معه. هل تعلم مستمعي أننا كلنا كبشر خطاة ضالون الطريق؟ وهل تعلم أن الله يبحث عنك ويريدك أن تعود عن ضياعك وضلالك؟ وليس من الصواب أن تدّعي أنك إنسان صالح، وهذا الخطأ وقع به قديماً أيام المخلص المسيح الفريسيون والكتبة، إذ ظنّوا أنهم أناس صالحون ولا يحتاجون إلى التوبة والرجوع.

وهذا الخطأ يقع فيه الكثيرون هذه الأيام أيضاً، إذ يظنون أن ديانتهم ستساعدهم على النجاة. أو أن أعمالهم الصالحة ستجعلهم صالحين أمام الله. لكن كلمة الله كما جاءت في الكتاب المقدس تقول العكس بالتمام، أننا كبشر جميعنا خطاة بدون استثناء، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. وبالتالي إن الجميع بحاجة إلى التوبة عن الخطية والآثام، والعودة عن طريق الشر، وطلب

الرحمة من الله. ولهذا قال المسيح لكل من يظن أنه إنسان صالح: « أنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة». فالسمااء كلها تفرح بعودة الخاطئ الضال.

هل تعلم صديقي بأن الله مازال يبحث عن كل إنسان خاطئ؟ ولقد عبّر عن محبته بأن أرسل المخلص المسيح لكي يموت على الصليب كفارة من أجل خطيئة البشر جميعاً. فنحن كلنا مثل الخروف الضال والله يبحث عنا ويريد أن يخلصنا من ذنوبنا وآثامنا.

وماذا عنك مستمعي؟ هل تعترف أنك إنسان خاطئ وقد ضللت الطريق، وتتجاوب مع محبة الله العظمى لك؟ وهل تتوب عن ذنوبك وتؤمن بالمخلص المسيح؟ وهل تعلم أنك عندما تفعل ذلك يغفر الله ذنوبك، ويغيّر قلبك من الداخل، وتتأكد أنك ستنال الحياة الأبدية، فتفرح السماء كلها بك.